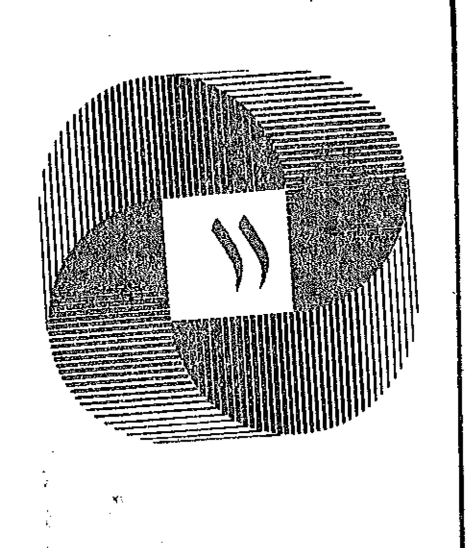
الفصل الحادي عشر

الكلدانيون الساميون

في

حضارة وادي الرافدين



- الكلدانيون وحضارتهم
- مشروع جدول نبوبولاسر لارواء منطقة سيپار
- مشروع خزان نبوخذنصر في منخفض عقرقوف
- نهر ملكا القديم
- الكلدانيون والبلاد العربية

« ليس في كل اقطار العالم بلد يضاهي بابل من حيث خصوبة الأرض وانتاج الحبوب ، فان الحبوب تعطي مائتي ضعف عند الإقبال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف ، ونعرض عن العنب والزيتون اللذين لا تصلح زراعتهما بتلك التربة . ويبلغ عرض الورقة من سنابل الحنطة والشعير اربعة اصابع ، اما نباتات الذرة والسمسم فلا اذكر عظم خصبتها ونمو جذوعها ، لانني اعلم يقيناً ان كل من لا يعرف تلك الأقطار لا يصدقني ، ولذلك ضربت صفحاً عن ذكرها . »

(هرودوتس)

١ ــ تمهيد

يبدأ هذا العهد ــ العهد البابلي الاخير او عهد الكلدانيين ــ بتأسيس الدولة الكلدانية في بابل بزعامة الامير الكلداني نبوبلاسر واعلان انفصاله عن الدولة الاشورية سنة ٦٢٦ ق٠م٠ وهو يومئذ حاكم بابل ، فتحالف هذا الامير مع ملك الماذيين « كياخسار » واتفق معه على تقويض الدولة الاشورية واقتسام أصقاعها وبقاعها ، وقد كتب لهذه الخطة الحربية النجاح حيث استولت جيوش العاهلين المتحالفين على العاصمة الآشورية نينوى سنة ٦١٢ ق٠م٠ وقد بلغت الدولة الكلدانية أوج توسعها وعظمتها في عهد نبوخذنصر الثاني (٦٠٤ــ٥٦٢) فاصبحت حدودها تمتد من الخليج العربي جنوبا حتى تخوم مصر ٠ وبعد وفاة نبوخذنصر اعتلى عرش بابل ملوك ضعفاء حتى نصب نابونيد ملكا على بابل ففتح مدينة حران ومنها اتجه الى البادية فاستولى على بلدة تيماء وبنى له قصرا فيها وسكنه وترك الحكم في بابل بيد ابنه (بيل شاصر) الذي اهمل أمور الدولة فتفسخت الادارة في أيامه وعم الفساد ٠ وظهر في ذلك الوقت ملك قوي في بلاد فارس هو كورش الاخميني فانتهز ضعف الدولة البابلية وجهز حملة قوية على بابل فاستولى عليها وعلى المدن التابعة لها ٠ كان ذلك في عام ٥٣٩ ق٠م٠ وهكذا انتهى حكم مملكة بابل الحديثة وبانتهائه قضي على الحكم الوطني في العراق ٠

وقد استمر الحكم الاخميني في العراق حوالي قرنين من الزمن كان النزاع فيهما مستمرا بين الشرق والغرب فتارة يميل الحظ مع الشرق فترجح كفته وتارة يبسم للغرب وهكذا دواليك حتى ظهر الاسكندر المقدوني على المسرح فدار قتال عنيف بينه وبين الملك الاخميني دارا الثالث في واقعة اربيل سنة ٣٣١ ق٠م٠ فانهزم دارا الى بلاد ماذي ودخل الاسكندر العراق ظافرا فقصد عاصمته بابل ، ثم استأنف سيره نحو بلاد فارس في مطاردة دارا فافتتحها ثم فتح بلاد ماذي وظل يطارد دارا حتى وجده قتيلا في جوار بلخ ، وبموت دارا انقرضت تلك الدولة فورثتها اليونان ووضعت يدها على كل ما كانت تملكه من البلاد والمستعمرات ٠ وبعد وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق٠م٠ قسمت الامبراطورية اليونانية قسمين ، حكم البطالمة في مصر والسلوقيون في سورية والعراق ٠ وفي هذه الفترة ظهر الفرثيون من بلاد فارس وأخذوا ينازعون السلوقيين على حكم البلاد فشبت حروب استمرت أعواما كثيرة بين السلوقيين والفرثيين فكان الفوز في النهاية حليف الفرثيين

فاستولوا على معظم مخلفات السلوقيين في الاقاليم الشرقية ومن جملتها العراق، وكان ذلك سنة ١٢٦ ق٠م٠ وقد ابتنى الفرثيون مدينة تجاه سلوقية على الضفة اليسرى من دجلة سموهـا (طيسفون) وجعلوها عاصمة لهم وسماها العرب المدائن عند فتحهم للعراق في آخر عهد الاكاسرة وتعـرف بقيتها اليوم باسم سلمان باك ٠

وبعد أن حالف الحظ الفرثيين مدة مـن الزمن ظهر الرومان وأخذوا ينازعونهم على حكم البلاد وصاروا يتحرشون بهم ليأخذوا العراق والجزيرة منهم فاستمرت بين الدولتين لظى الحرب فكان من جرائها ان كثرت الفتن والاضطرابات في مملكة الفرثيين ، وبينما كان الفرثيون منهمكين في تلك الحرب الضروس اذا هم بالفرس يثورون تحت قيادة زعيمهم اردشير بن بابـك الساساني فاخضعوا جميع بلاد فارس وبذل الفرثيون كل مافي وسعهم لاخماد ثورة اردشير ولكنهم بـاءوا بالفشل ٠ وفي سنة ٢٢٧ للميلاد دارت رحى الحرب بين ارطبان الخامس ملك الفرثيين وبين اردشير فانهزمت جيوش الاول وخرج اردشير من معمعاتها منتصرا ، فاحتل العراق ودخل عاصمة الفرثيين طيسفون ، وبذلك انقرضت دولة الفرثيين ٠

وقام الملوك الساسانيون بتوسيع فتوحاتهم وتعمير مملكتهم حتى جعلوها مـن اعظم دول الارض مكانة ومهابة في تلك الازمان التأريخية ٠ولم يلبث الاكاسرة الساسانيون حتى اصطدموا بالرومان كما اصطدم بهم الفرثيون من قبل واستمر النضال بين الرومان والساسانيين ، فتارة يحالف النصر الرومان وتارة أخرى الساسانيين حتى اختلت شؤون المملكـة الساسانية علـى يـد ملـــوك ضعفـــاء ٠ ثـم كانـت واقعـــة القادسيـــة بين العـــرب والفـرس بدايـــة انتصارات العرب في زحفهم على العراق مما أدى الى استيلائهم على المدايـن عاصمة الاكاسرة الساسانيين وبدخولهم اياها زال ملك آل ساسان من العراق سنة ١٦ هـ ـــ ٦٣٧ م ٠

وفيما يلي تسلسل هذه العصور التاريخية : ـــ

١ ـــ عصر العهد البابلي الاخير ـ الدولة الكلدانية	٦٢٦ ـ ٥٣٩ ق٠م٠
٢ ـــ عصر الاخمينيين الفـرس	٥٣٩ ـ ٣٣١ ق٠م٠
٣ ـــ عصر الاسكندر المقدوني	٣٣١ ـ ٣٢٣ ق٠م٠
٤ ـــ حكم البطالمة في مصر	٣٢٣ ـ ٣٠ ق٠م٠
٥ ـــ حكم السلوقيين في سورية	٣١٢ ـ ٦٤ ق٠م٠
٦ ـــ حكم الفرثيين (الفرس) في العراق	١٢٦ ق٠م٠ ـــ ٢٢٧ ب٠م٠
٧ ـــ حكم الساسانيين في العراق	٢٢٤ ـ ٦٣٧ م

٢ ــ الكلدانيون

يرجع علماء الآثار وطن الكلدانيين الاصلي الى شواطيء الخليج العربي في جنوب العراق ، حيث أسست هناك منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد أو ربما قبل ذلك سلالة الامراء التي عرفت عند المؤرخيين بسلالة القطر البحري أو « سلالة بابل الثانية » التي كانت بالدرجة الاولى من بقايا السومريين ، وقد تمكن ملوك هذه السلالة من بسط سيطرتهم على سواحل الخليج العربي وأكثر المدن السومرية والاكدية في جنوب العراق بعد ان كاد الجنس السومري يتلاشى في الجنس السامي (الاكدي والبابلي) . والكلدانيون هم من القبائل البدوية السامية وقد اشتق اسمهم من قبيلة « كلدة »[1] ويعدهم المؤرخون فرعا من الآراميين نزحوا من سورية الى جنوبي العراق وقد ظهروا لاول مرة في عهد (شمسو ايلونا) خليفة حمورابي ، وكان أول ملوكهم يدعى « أيلوما ايلو » يبدأ حكمه سنة ١٧٤٢ ق.م. ولقد مارست سلالتهم سلطة غير ثابتة على اقليم سومر وأكد حوالي قرن ونصف قرن ، ثم صارت تتحدى سلطة الدولة البابلية القديمة (١٨٩٤ ــ ١٥٩٥ ق.م.) وقد ظلت متحدية ملوك بابل وآشور مدة ألف عام تلت ذلك العصر .

وقد انضم الى القبائل الكلدانية حشود من الآراميين نزحوا من سورية في فترة ضعف الدولة الآشورية ما بين سنة ١٠٧٧ و ٩١١ ق.م. فأسست منهم دولة في جنوبي العراق في منطقة الخليج عرفت باسم « بيت ياكيني » وصاروا يتحينون الفرص لاحتلال بابل والقضاء على الحكم الآشوري فيها ، فقد جرد احد ملوكهم المدعو « مردوخ بلادان » حملة على بابل وفتحها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات بين ٧٢١ وسنة ٧١١ ق.م. وكان ذلك في بداية حكم سرجون الثاني الا ان سرجون حاربه واستولى على بابل فهرب مردوخ بلادان الى أقصى الجنوب حتى أقصى بلاد البحر والخليج وخرب سرجون بابل ودك حصونها وفتح مياه الفرات عليها وأغرقها ليزيل معالمها وكان ذلك سنة ٦٨٩ ق.م. وفي سنة ٦٤٨ ق.م. قام آشور بانيبال بحملة تأديبية على بابل وبلاد القطر البحري وأخضع الامراء المتمردين واتجه نحو عيلام التي كانت تحرضهم على التمرد فاحتل عاصمتها « السوس » وخربها وبعد وفاة آشور بانيبال سنة ٦٢٦ ق . م . انتهز سكان القطر البحري ضعف المملكة الآشورية ،فاستولى الزعيم الكلداني المدعو « نبوبولاسر » على مقاليد الحكم في بابل سنة ٦٢٥ ق.م. وهو يومئذ حاكم بابل ، وتمكن من الانفصال عن الدولة الآشورية فحالف الماذيين وساهم في الحرب التي قوضت الحكم الآشوري في البلاد سنة ٦١٢

---

(١) يقول المرحوم الاب انستاس الكرملي (مجلة لغة العرب ٢ ــ ٥٧٨) ان مؤسس دولة الكلدان (كلدة) شيخ عربي ينتمي الى القبائل العربية وقد ذهب سترابو الى ان (Gerrha) التي تقع عند العقير في الاحساء كانت في الاصل موضعا للكلدانيين وكانت ذات تجارة مع أهل بابل مزدهرة .

(دكتور عبدالرحمن الطيب الانصاري : «اضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار ونقوش ثرية العاد » ، مجلة الدارة السعودية ، العدد الثالث (١٩٧٧) الرياض) .

ق٠م٠ واسس الدولة البابلية الكلدانية التي دامت ٧٣ سنة بعد سقوط نينوى ، وقد سميت في ثبت الملوك بسلالة بابل الحادية عشرة ٠

ولقد لعبت سلالة بابل المذكورة دورا مهما في تاريخ الشرق الادنى في القرن السادس قبل الميلاد ، فقد استولت على جميع الدويلات في سورية وفي فلسطين وبلغ أوج ازدهارها في عهد نبوخذ نصر (بختنصر) خليفة « نبوبولاسر » وابنه ٠ وكان نبوخذ نصر أعظم الملوك الكلدانيين قاطبة ، وقد دام حكمه ثلاثا واربعين سنة (٦٠٥–٥٦٢ ق٠م٠) ٠ والذي يعنينا هنا من حملاته الحربية الحملتان اللتان قام بهما على مملكة يهوذا والقضاء عليها وسبي اليهود الى بلاد بابل٠ فقد وجه حملته الاولى سنة ٥٩٧ ق٠م٠ على يهوذا فاستولى علىاورشليم وسبى اليهود الىبلاد بابل ومعهم الملك « يهوياكين » وأهل بيته ٠ ثم تبعه السبي البابلي الثاني سنة ٥٨٦ ق٠م٠ اذ جاء نبوخذ نصر هذه المرة بنفسه على رأس حملة قويةواحتل أورشليم فخربها وأحرق بيت الدين وبيت الملك وكل بيوت الاعيان ، وقد ضمن عدد الاسرى الذين سيقوا الىبابل ليلحقوا باليهود منالسبي الاول بحوالي ٥٠٫٠٠٠ شخص ٠ وبعد وفاة نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ ق٠م٠ خلفه على عرش بابل ملوك ضعفاء حتى وقعت بابل لقمة سائغةبيد كورش الاخميني ، فسمح كورش لمن يشاء منالیهود بعد احتلاله لبابل بالعودة الى فلسطينفعاد بعضهم وقد آثر البعض الآخر البقاء ٠

وما كاد « نبوبولاسر » يستقر في عاصمتهبابل حتى جرد حملة بقيادة ابنه الامير « نبوخذ نصر » (بختنصر) الىأهالي الفرات لضم المستعمرات الآشورية فصادف هناك الجيش الفرعوني الذي كان حليفا للاشوريين يومئذ بقيادة «نيخو»ومعه فلول الجيش الآشوري ، فدحرهم «نبوخذ نصر » قرب كركميش (جرابلس الحديثة علىنهرالفرات) وسار في جيشه فاخضع جميع الدويلات في سورية وفي فلسطين ولم يتوقف الا عند حدود مصر ، لان الانباء جاءته بوفاة والده « نبو بولاسر » وتوريثه عرش المملكة البابلية الجديدة،وهكذا فقد توثقت العلاقات الطيبة بين الماذيين والكلدانيين وقد زوج ملك ماذي ابنته من الاميرنبوخذ نصر بن نبوبولاسر المذكور توثيقا لعرى الصداقة والولاء ، واقتسم الماذيون والكلدانيونممتلكات الدولة الآشورية المنهارة فكانت نتيجة ذلك ان وقعت حصة العاهل الكلداني الدولة البابلية الحديثة في سورية والعراق وكان عهد « نبوخذ نصر » الذي لقب بـ « نبوخذ نصر الثاني »(٢) عهدا طويلا دام ثلاثا واربعين سنة (٦٠٥ – ٥٦٢ ق٠م٠) اظهر فيها انه اعظم الملوكالكلدانيين قاطبة ، فبلغت الدولة الكلدانية اوج ازدهارها في عهده حيث استولى على جميع الدويلات في سورية وفلسطين (انظر المرتسم رقم ٣٥) ٠ وبعد وفاة نبوخذ نصر خلفه علىعرش بابل ملوك ضعفاء فظهر في ذلك الوقت ملك

---

(٢) لقب نبوخذ نصر بالثاني لان الاول هو نبوخذنصر الذي ينتمي الى السلالة البابلية الرابعة والذي استعاد استقلال بابل ايام حكم الآشوريين لها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١١٢٤–١١٠٣ ق٠م٠) ٠

قوي في بلاد فارس يدعى « كورش » الاخميني فانتهز ضعف الدولة البابلية وجهز حملة قوية على بابل سنة ٥٣٩ ق٠م٠ فاستولى عليها وعلى المدن التابعة لهـا وهكذا انتهى حكم مملكة بابل الحديثة ٠



المرتسم رقم (٣٥)

خارطة حدود المملكة البابلية الثانية أو الدولة الكلدانية (٦١٢–٥٣٨ ق٠م٠)

ويشير الاخباريون ان نبوخذ نصر هجم على مصر لتدخلها في شؤون فلسطين على الارجح ولكن مدى نجاحه في هذا الهجوم غير معلوم(٤٢)، غير ان يوسيفوس يذكر في كتابه « تاريخ اليهود القديم » « ان نبوخذ نصر قد جعل مصر تابعة الى الامبراطورية البابلية ٠ وقد ترك نبوخذ نصر طرفا من اخباره الحربية في سورية منقوشة على الصخور عند نهر الكلب » ٠

وكان نبوخذنصر صديقا للماذيين طوال سني حكمه ، وهم كانوا حلفاء أبيه ، وقد تزوج يوم كان اميرا ابنة ملكهم ، وفي ايام حكمه شارك الماذيين في محاربتهم الليديين الذين انشأوا مملكتهم في القسم الغربي من آسيا الصغرى ٠

(٤٢) Rogers : "Cuneiform Parallels" p. 367.

٣ ـ حضارة الكلدانيين

اخذ الكلدانيون الحضارة البابلية القديمة كما فعل غيرهم من الغزاة الساميين الآخرين الذين نزحوا الى سهل بابل واضافوا اليها كثيرا من عندهم فتحسنت الفنون والصناعات ، وعنوا بالدين والآداب عناية كبيرة وقطعوا أشواطا واسعة في علم الفلك ، فظهر في الكلدانيين حكماء متوسعون في فنون المعارف كالمهن التعليمية والعلوم الرياضية والكهنوتية ، كما ظهر فيهم فلكيون تعلموا كيف تحسب الخسوف والكسوف والكلدانيون أول من جزأ الواحد الصحيح الى ستين جزءا وقسموا اليوم الى ٢٤ ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية • وممن اشتهر من الفلكيين الكلدانيين «نبوريمانو» و «كيدينو» اذ كان لهما الفضل في وضع أول التقاويم الفلكية في العالم ويظن ان فيثاغورس العالم اليوناني (٥٨٠ــ٥٠٠ ق•م•) اخذ الجدول المنسوب اليه عنهما •

ومما يذكر عن حضارة الكلدانيين براعتهم في فن التطريز حتى لقد كانوا يصورون على النسيج الصور التي رسموها على جدران قصورهم وبرغم تقليد الكلدانيين في اشياء كثيرة ، فقد فاقوا الاسلاف في فخامة الابنية وابهة الدولة واصبحت بابل في عهد نبوخذ نصر أعظم مدينة في معمور الارض، وكانت بابل نبوخذ نصر هذه هي التي ادهشت ابا التاريخ هيرودوتس [٣]

(انظر التصويرين ٢١١ و ٢١١ أ) •

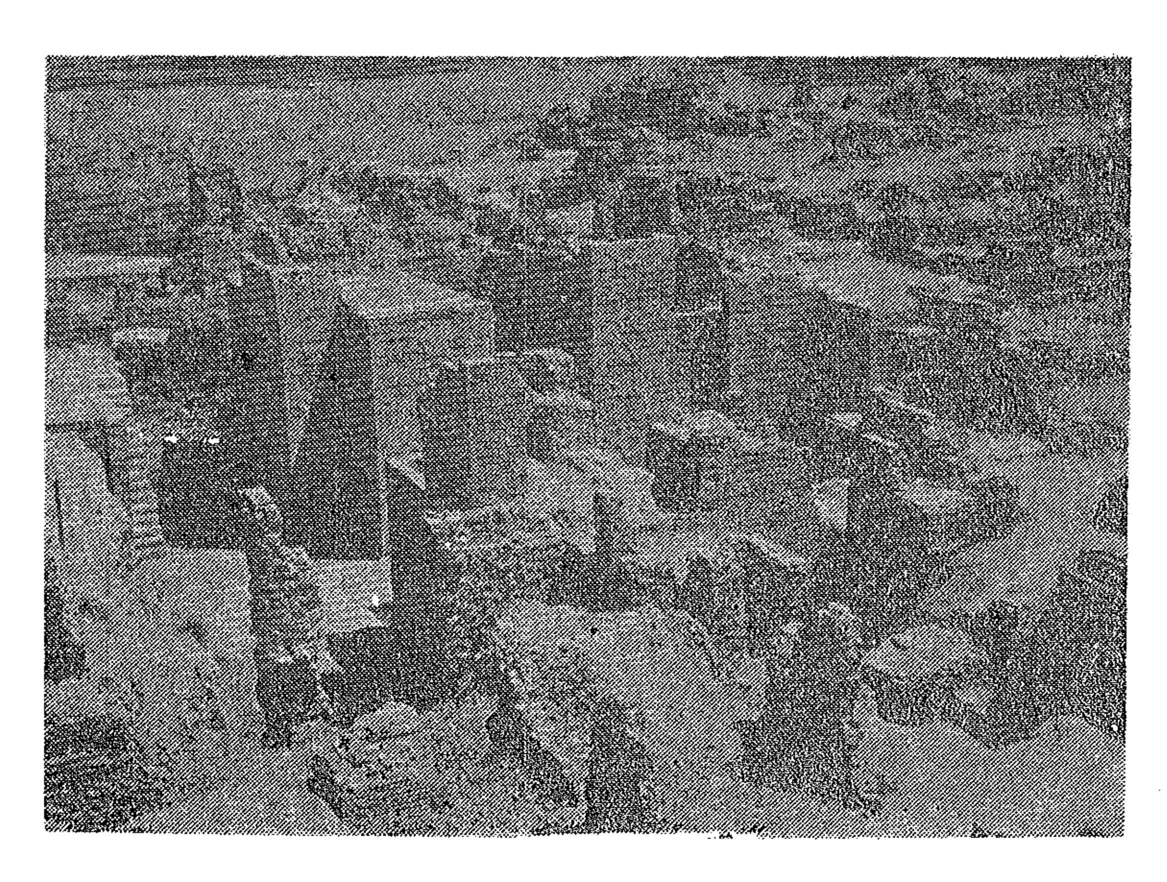
٤ ـ مشروع جدول نبوبولاسر لارواء منطقة سيبار

اما مشاريع الري التي أقيمت في العهد الكلداني فقد جاء في كتابات نبوبولاسر انه فتح جدولا من الضفة اليسرى لنهر الفرات يمتد حتى مدينة سيبار ولعل نبوبولاسر اعاد تنسيق هذا الجدول وحفره من جديد ، لان كتابات حمورابي التي ترجع الى ما قبل اثنى عشر قرنا تدل على ان حمورابي كان هو الذي فتح هذا الجدول ، وذلك بعد ان تحول مجرى نهر الفرات عن مدينة سيبار (راجع ما تقدم عن مشاريع الري التي اقامها حمورابي ـ الفصل التاسع) •

٥ ـ مشروع خزان نبوخذنصر في منخفض عقرقوف

وتدل الالواح الاثرية التي عثر عليها من عهد نبوخذنصر ان نبوخذنصر استخدم

(٣) انظر (دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠) ، ص ١٦٤ ـ ١٧٣ •



التصوير رقم (٢١١)

منظر عام لخرائب مدينة بابل يظر في الصورة بقايا باب عشتار والشارع المقدس « شارع المواكب » يرجع عهده الى نهاية القرن السابع ق.م.

منطقة عقرقوف المنخفضة (٤) لانشاء بحيرة فيها تمتد بين الفرات ودجلة لتكون من جملة التحصينات الدفاعية لصد هجمات الميديين، فتشير الكتابات البابلية القديمة (الاسطوانة رقم ٢ المستخرجة من وادي بريسة) ان من جملة الاعمال العظيمة التي قام بها نبوخذنصر

(٤) يحمل هذا المنخفض اسمه من التل المعروف باسم تل عقرقوف الواقع في الحدود الجنوبية الغربية للمنخفض ويؤلف وهدة ضحلة في غربي وشمال غربي مدينة بغداد تبلغ مساحتها حوالي ٦٠٠ كيلومتر مربع ، اي ما يقارب ٢٤٠٠ دونم عراقي (يساوي الدونم العراقي ٢٥٠٠ م٢) في مستوى ٣٤ مترا فوق معدل منسوب سطح البحر . وتستوعب هذه الوهدة ٦٤٦ر. مليارا من الامتار المكعبة من الماء في المستوى المذكور وان اعمق نقطة فيها تبلغ حوالي ثلاثة امتار تحت ذلك المستوى . وتحد منخفض عقرقوف من الشمال ارض صحراوية مرتفعة كما يحدها من الشرق السد الذي يمر فوقه خط السكة الحديد التي تصل بغداد ببيجي ومن الجنوب اراضي مشروع ابي غريب والمطار المدني القديم . اما الحدود الغربية فتخترق اراضي مشروع الصقلاوية الحالي وهي الاراضي التي اصبحت في ضمن حدود بحيرة عقرقوف ذاتها . والبحيرة معرضة للغرق من النهرين دجلة والفرات في حالات الفيضانات الخطرة عند حدوث ثغرات في سدود الضفة اليمني من نهر دجلة شمالي بغداد او سدود الضفة اليسرى من الفرات شمالي الفلوجة .

لتقوية وسائل الدفاع عن بابل عاصمة ملكـه ولصد عادية الميديين عنها انشـأ خندقا عميقـا (بعمق البحر) يحيط بالمدينة ، كما أقام سدا ترابيا ضخما بين نهر الفـرات اليسـرى مقابـل مدينة سيبار وبين ضفة نهر دجلة اليمنى عند مدينـة « أوبيـس »[٥] حيث تصـبح المسافة في أضيق نقطة بينهما بما لا يتجاوز ثلاثين كيلومتراوكان هذا السد الضخم الذيصار يعرف بـ«سور الميديين » يتألف من سدين متوازيين بينهما خندقعميق مجموع طولهما خمسـة اميـال بابليـة (٦٠ كيلومترا) على اعتبار طول كل من السدينثلاثين كيلومترا ، وهي المسافة في أضيق نقطـة بين النهرين دجلة والفرات • وبذلك أمكن انشاء خـزان اصطناعي امام السد من جهة الجنوب باغمار منخفض عقرقوف الحالي بمياه الفـراتالتي تعلو عن مستوى مياه نهر دجلـة في هـذا المكان بنحو سبعة امتار • وقد كسا نبوخذنصر هذا السد بالحجارة والقار كما كسا السـدود المحيطة بالبحيرة من اربع اطرافها • وكان حجمالسد كما وصفه زينفون في حملة العشرة آلاف الشهيرة[٦] بسمك عشرين قدما وارتفاع مائـة قدم • ويستفاد من وصف ابيدينس ان البحيرة امام السد كانت تستخدم لخزن المياه واستعمالها فياغراض الري بالاضافة الىالاغراض الدفاعية، حيث كانت تروي الاراضي الزراعية الواقعة في جنوب البحيرة وذلك في موسم الصيهود اي عند شح المياه في النهر ، باطلاق الميـاه المخزونة بوساطـة فتحـات خاصـة في السـدود المحيطـة بالبحيرة • فكـانت البحـيرة تملأ في شهر مايسبواسطة احد الجداول المتفرعة من الضفة اليسرى من الفرات ، فقد ذكر اوسابيوس نقلا عن أبيدينس ان هناك نهرا حفر أو أعيد حفره فـي عهد نبوخذنصر كان يمون الخـزان بالمياه من الفراتوكان يعرف هذا الجدول باسم « نهر ملكا » ، وقد أشار هيرودوتس الىهذا النهر[٧]دون ان يذكر اسمه، فقالانهأكبر الانهر البابلية ولا يمكن عبوره الا بالسفن • وقـد كتب بطليموس القلوذي في وصف هذا النهر أيضا فقال انـه كـان يؤلف الحد بين بلاد ما بين النهرين وبابل[٨] •

وقد نسب هيرودوتس (حوالي منتصف القرن الرابع ق • م) هذه الاعمـال الى الملكـة نيتوكريس زوجة نبوخذنصر ، ثم اشار ديودورس الصقلـي (٨ ق • م •) الى ان الملكـة سمير

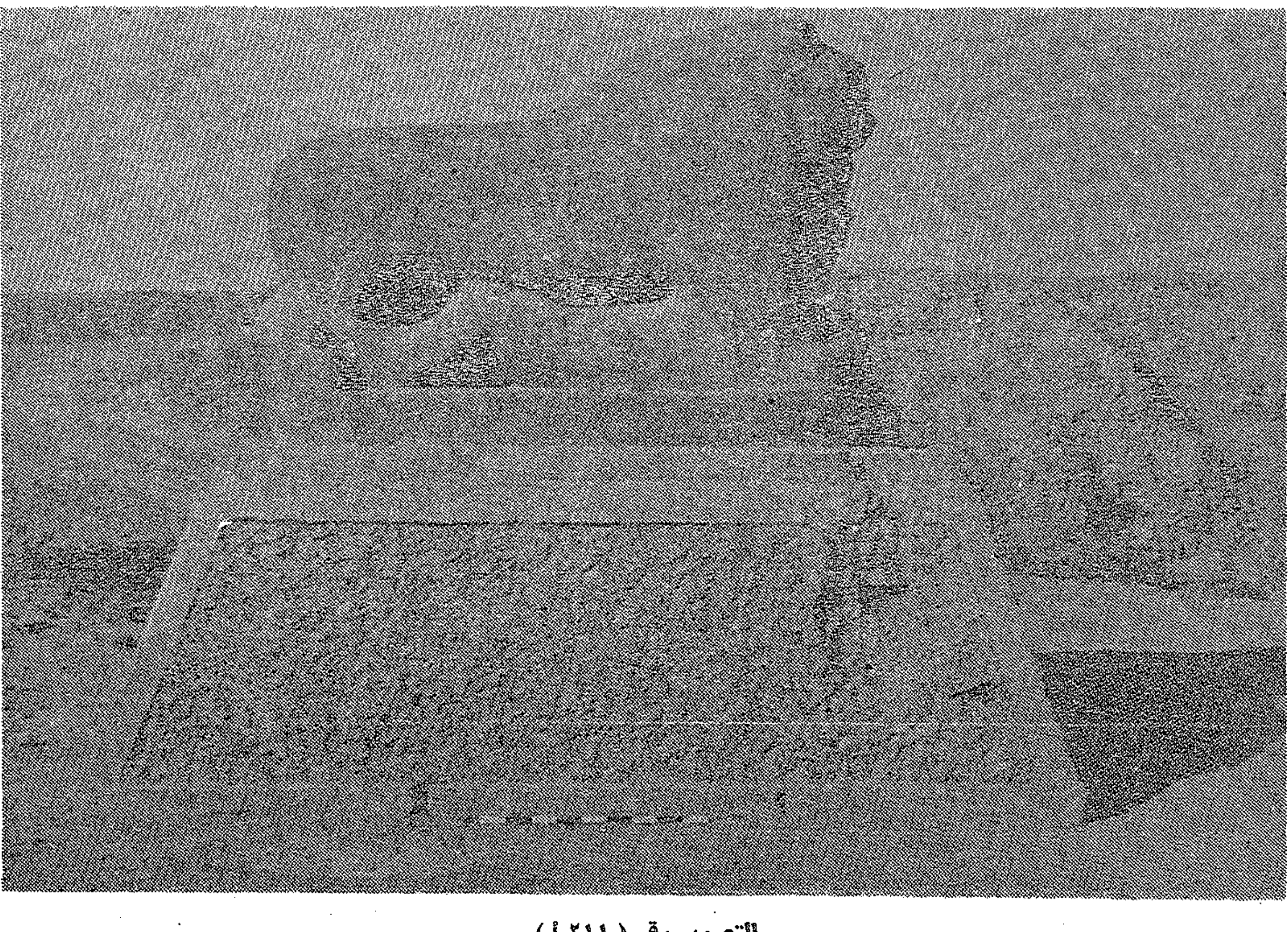
---

(٥) اوبيس«مدينة سامية قديمة فيجنوب العراق • ورد ذكرها في جميع المدونات القديمـة في عرض الاحداث الحربية والسياسية لم يعين موقعها بالضبط حتى الان ، والمعلوم من المدونات المذكورة انها كانت تقع في مكان ما على ضفة نهر دجلةاليسرى في المنطقة الممتدة بين سامراء وسلمان باك ، ويرجح اكثر الباحثين انها كانت تقع في جوار سلوقية اليونانية » •

(٦) هذه هي الحملة التي اعدها كورش الصغير (احد امراء فارس) في اليونان في سنة(٤٠١ ق•م•) لمحاربـة اخيه ارتاكسوكس والاستيلاء علىعرش المملكة الفارسية في بابل ، الا ان مقتل كورش نفسه في المعركة التي دارت بينه وبين اخيـهارتاكسوكس شتت شمل جيشـه حيث اضطرت فلوله الى الرجوع الى اليونان بعد انكسـاره في المعركـة •

(٧) تاريخ هيرودوتس ١ – ١٩٣ •

(٨) انظر Musil : "The Middle Euphrates". pp. 259-266



التصوير رقم (٢١١ أ)

أسد بابل الشهير الذي وجد في القصر الرئيسي لنبوخذنصر الثاني (٦٥٠-٥٦٣ ق.م.) وقد صنع هذا النصب العظيم من البازلت (الرخام الاسود الصلب) ويشاهد الاسد وهو واقف فوق رجل مطروح يفترسه

اميس هي التي قامت بهذه الاعمال وقد نسب اليها اعمالا أخرى ، الا أن الدراسات الاخيرة التي توصل اليها الخبراء تنفي وجود هذه الملكة أصلا اذ تعتبرها صورة اسطورية لا وجود لها وصفت بشتى الاوصاف الخيالية(٩) .

وقد ذكر هيرودتس في بحثه عن فتوحات كورش أنه لما أقدم على غزو مدينة بابل استخدم البحيرة وقد كانت آنئذ على هيئة مستنقع واسع،فحول مياه نهر الفرات كلها اليه ، وذلك بعد حفر جدول من نهر الفرات يوصل البحيرة بالنهر . وبذلك أمكنه قطع المياه عن مجرى النهر الذي يمر من المدينة فتم له احتلالها من جهة النهر ،واليك ما كتبه في هذا الصدد قال : « فمن لكورش برايه الخاص او بمشورة غيره ان يتخذ واسطة أخرى لاحتلال بابل وهي انه أقام جانبا من جيوشه على مدخل النهر على بابل وقسما آخر على مخرجه منها وأمرهم متى رأوا النهر قد جف ماءوه وأمكن عبوره يدخلون البلد منه ،ثم ذهب بالقسم غير المحارب من رجاله الى الجهة التي تقع فيها البحيرة التي كانت قد حفرتها الملكة نيتوكريس فحول مياه النهر اليها وذلك بواسطة الاقنية الموصلة الى البحيرة حتى قل الماء في مجرى النهر بحيث لم يغمر الى اكثر من الركبة فسهل المرور فيه ودخله الفرس الذين كانوا ينتظرون على جهة النهر بالقرب من المدينة ومنه تم الدخول الى بابل . ولو درى البابليون بمقاصد كورش لاهلكوا العساكر عند دخولها المدينة عن اخرهم ولم يتركوا لهم المجال للدخول ولم يكن يلزمهم لذلك الا ان يقفلوا جميع الابواب الصغيرة بين البلد والنهر ويصعدوا فوق اسوار الشواطيء فيصطادوتهم جميعا كالسمك بالشبكة ولكن الفرس دخلوا في وقت لم يكن لاعدائهم بحساب هذا »(١٠) .

وقد ذكر هيرودوتس ايضا ان الملكة نيتوكريس قد استفادت من انشاء البحيرة المذكورة فحولت مياه نهر الفرات اليها وبذلك تمكنت من قطع المياه عن المجرى الذي يمر في وسط بابل ، الامر الذي ساعدها على اقامة جسر حجري على عرض النهر في المدينة ، ففي ذلك يقول : « أعلم ان بابل هي منقسمة الى شطرين ونهر الفرات مار في وسطها وفي عهد الملوك السالفين كانت الناس تعبر بالزوارق من شاطيء الى اخر . فرأت الملكة نيتوكريس ان تستفيد من البحيرة التي احتفرتها وتضيف الى عملها الاول عملا اخر فقطعت حجارة كبيرة واعدتها للبناء فلما فرغت من اتمام البحيرة حولت ماء الفرات اليها وفيما هي تمتليء نشف النهر فبادروا حينئذ الى بناء رصيف من الاجر المفخور على جانبيه الواقعين داخل البلدة ومدارج تؤدي من الابواب الصغيرة الى النهر، واقاموا في وسط المدينة جسرا موطدا بالحجارة الكبيرة التي قطعوها من المقالع ومكنوها بالحديد والرصاص وكانوا يعبرون نهارا على قطع من الخشب مربعة ويرفعونها

---

(٩) انظر مادة سمير اميس في دائرة المعارف البريطانية (١٩٢٥) ، ٢٠ : ٢١٣

(١٠) الكتاب الاول ، الفقرة ١٩١

ليلا احتراسا من ان يمر عليها الاهالي ويجتازوا البلدة من جهة الى اخرى ويتسارقوا ، ولما امتلأت البحيرة بمياه النهر وتم بناء الجسر ارجعوا النهرالى مجراه القديم وعلم البابليون بالنفع الناشيء عن البحيرة والجسـر »[11] .

٦ ـ سور الميديين وصلته بخزان نبوخذنصر

وكان هناك مشروع ضـخم يرتبط بخزان نبوخذنصر القديـم هو السور التاريخي الشهير المعروف بـ (سور الميديين) وهو السور الـذي كان جزءا من تحصينات البابليين للدفاع عن بابل وصد غارات الميديين عنهم وقد سبقت الاشارة اليه . فقد تضاربت الاراء في تعيين مكان هـذا السور ، والرأي الراجح هو ان السور كان يمتد بين ساحل الفرات الايسر وساحل نهـر دجلـة الايمن فيمتد من قرب نهر الصقلاوية الحالي من عند التل المسمى « تل صغيرة » ثم يمتد الى الجهة الشرقية الجنوبية في محاذاة مجرى نهر الصقلاوية الحالي حتى يصل الطرف الجنوبي من بحـيرة عقرقوف (خزان نبوخذنصر) ، ومن هناك ينعطف نحو تل عقرقوف[12] . ثـم يستمر في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى ينتهي عند مدينة سلوقية القديمة (تل عمر)[13] . وقـد أيـد ذلك سير

---

(١١) الكتاب الاول ، الفقرة ١٨٦

(١٢) تل عقرقوف ـ موقع اثري تاريخي يشاهد من بعيد ببرجه الشامخ تمثل اطلاله بقايا مدينة (كوريكالزو الاول) احد ملوك بابل في دور السلالة الكشية التابعة لملكة بابل الاولى ، وهـو الذي ملك في بابل في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقد ظلت هذه المدينة عاصمة البلاد حتى اواخر السلالة الكشية ، اي حتى نهاية القرن الثاني عشر ق.م. ، ثم قل شأنها بعد انتقال عاصمة البلاد الى بابل فاصبحت عرضة لهجمـات الجيوش الآشـورية المتعاقبـة نعمهـا الخراب . ثم سكنت هناك جالية آرامية واقامت ابنية فوق اطلال المدينة وذلك في العصـر الاخميني ، ولعل هذه الجالية هي التي اطلقت على المدينة اسم عقرقوف . وقد دلت اللقى التي عثر عليها في اطلال معابد المدينة ان جماعـة اسلامية اتخذت في مباني المدينة مساكن لها منذ القرن الثالث حتى القرن الثامن للهجرة . اما البرج المرتفع الذي يمثل بقايا زقـورة معبـد المدينة فيتكون من بناء ضخم من اللبن يعلو السهل القائم عليه زهاء ٢٠٠ قدم وهو مثل زقورة كيش وبرس نمرود .

(١٣) يقع تل عمر على الجانب الايمن من مجرى نهر دجلة الحالي على مسافة حوالي ٤٠ كيلومترا من جنوب بغداد ، اما مدينة سلوقية التـي يعتقد انها بنيت في هـذا المكان فقـد شيدهـا سلوكيوس نيكتاريوس ، احد خلفاء اسكندر المقدوني في القرن الثالث قبل الميلاد على ضـفة نهر دجلة اليمنى مقابـل مدينـة طيسفون الفارسية الواقعة على الضفة اليسرى من النهر ، وقد ظهر من التنقيبات التي قامت بها احدى البعثات الاثرية في تل عمران ان مجرى نهر دجلة القديم في هذه المنطقة كان يقع غربي مجراه الحالي وان المنخفض المعروف الان بالهور الواقع شرقي تلول الاخساف هو مجرى دجلة القديم . لذلك نجد القسم من بقايا مدينة طيسفون الفارسية اصبح الان على الضفة اليمنى من مجرى دجلة الحالي بعد ان كان على الجهة اليسرى من النهر في مجراه القديم حيث اثبتت الحفريات الاخيرة بان بقايا مدينة طيسفون القديمة قـد انقسمت بواسطة مجرى دجلة الحالي الى قسمين ، قسم صار يقع على الضفة اليمنى من مجرى دجلة الحالي وذلك بالقرب من مدينة سلوقية وقسم اخر على الضفة اليسرى قـرب الخرائب الكائنة بجوار طاق كسري فـي سـلمان باك .

ويليام ويلكوكس في كتابه «بين عدن والاردن»فقال ان سور الميديين كان يمتد من تل صغيرة الى تل عقرقوف ومن هناك الى دجلة حتى يصل الى جنوب بغداد ، وكان هذا السور يحمي البابليين من غارات الاشوريين كما يحميهم من عدوان الميديين في العهد الذي سبق العصر الفارسي • وكان نهر الصقلاوية يقوم بهذه المهمة منذ أقدم الازمنة ولكن بعد ان سد هذا النهر استعيض عنه بالسور المذكور[١٤] •

(وقد وصف لنا زينفون السور المذكور في كتابه عن حملة العشرة آلاف (الكتاب الثاني فصل ٤ ، سطر ١٢–١٣)فقال أن السور لم يبعد كثيرا عن بابل وانه مبني بالآجر والقار وبسمك عشرين قدما وارتفاع مائة قدم ، اما طوله فذكر انه يبلغ عشرين فرسخا (حوالي ٧٠ كيلو مترا)[١٥] ولا تزال آثار هذا السور قائمة يمكن مشاهدتها في سلسلة التلول الاثرية المعروفة باسم « حبل الصخر » فيبلغ ارتفاعها زهاء ستة اقدام فوق مستوى سطح الارض •) ويظهر ان اثار الجدار تسير في خط غير مستقيم اذ تمتد مسافة خمسة أميال تقريبا الى الجنوب الشرقي ثم تنعطف الى الشمال الشرقي مسافة ميلين تقريبا وتعود فتتجه الى الشرق مسافة ميل ونصف الميل ثم تعود فتتحول ثانية الى الجهة الجنوبية الشرقية • ويلاحظ ان الجدار يتصل من نقطة انعطافه الى الشمال الشرقي بتلول مرتفعة مستطيلة تعرف بـ «عركوب خشوم حلان » والتي من ضمنها تقع اطلال تل الدير[١٦] • ويشاهد المرء بعض القار منتشرا على طول « حبل الصخر » المذكور مما يدل على أن السور كان مكسيا ببناء من الآجر والقار وذلك يتفق مع ما ورد ذكره في الكتابات التاريخية عن المواد المستعملة في انشاء الجدار • ولقد ذكر المستر بيوشر الذي قام بمسح هذه المنطقة في سنة ١٨٦٥ ان معظم بناء « خان ازاد » القديم في منطقة المحمودية والابنية الاخرى المجاورة قد أنشئت بالاجر القديم المستخرج من أطلال الجدار المذكور •)

٧ – نهر ملكا القديم

كان هذا النهر الكبير الذي يمون بحيرة نبوخذنصر يأخذ من الضفة اليسرى لنهر الفرات (نهر بابل) فيتجه نحو الشرق في اتجاه نهر دجلة بعد ان يمر بمدينة سيبار القديمة ثم يمتد في موازاة ضفة نهر دجلة اليمنى حتى يصل الى نقطة مقابل بلدة الكوت الحالية • وكان هيرودوتس من اقدم المؤرخين اليونانيين الذين أشاروا الى هذا النهر فقال في وصفه : « وكما هي الحال في مصر ففي كل انحاء بابل ترع وجداول وان أكبر هذه الجداول هو النهر الذي يسير باتجاه

---

(١٤) «بين عدن والاردن » للسير ويليام ويلكوكس (ترجمة الدكتور احمد سوسة ومحمد الهاشمي ص ٧٩) •

(١٥) انظر « المصادر عن ري العراق » للدكتور احمد سوسة ، ص ١٥٥ – ١٥٦ •

(١٦) انظر ما تقدم في الهامش (٢) من الفصل الثالث •

شمس الشتاء والذي لا يمكن المـرور به الا بالسفن ، ويتفرع هذا الجدول من نهر الفرات ثم يصب في النهر المسمى دجلة الذي تقوم عليه مدينـة نينـوى » ولا ريـب في أن هيرودوتـس يقصد في وصفه هذا نهر ملكا القديم الذي يرجع الى عصر الكلدانيين • وقـد جـاء فيمـا كتبه بوليبيوس (١٦٧ ق • م •) ذكر نهر ملكا فقال انزوكسيس حذر انتيوخس الثالث (سنة٢٢٠ق٠م٠) ونصحه بان يبتعد عن ضفة نهر دجلة اليمنى لتجنب نهر ملكا الذي لابد من عبوره فيما اذا سلك تلك الجهة • وقد ذكر سترابون (٢٤ م) هذا النهر ايضا ، كما اشار اليه ايسيدورس (القرن الاول ب٠م) في بحوثه التأريخية فقال انه ينبغي عبوره للوصول الى سلوقية• اما بلينيوس (٩٧ م) فقد سـماه ريجيوم فلومـين (Regium Flumen) وقـال ان الآشوريين كانوا يطلقون عليه اسم نهر ملكا وقد اعتبر بلينيوس مجرى نهر ملكا فرعا لنهر الفرات اذ ذكر ان نهر الفرات ينقسم بالقرب من مدينة اكرانيس (Agranis) وهـي مدينـة كبيرة على نهر الفرات تخربت في عهـد الفرس (ولعله يقصد الانبار) الى شطرين ، الشطر الذي يكون مجرى نهر ملكا شرقا والشطر الآخر الذي يؤلف مجرى نهر بابل ، وأضـاف مؤيـدا ان مجرى نهـر ملكا كان يسحب معظم ميـاه نهر الفرات فيصبها بدجلة في حين ان مجرى نهـر بابل وهو اصغر حجما كان يجـري نحـو بابـل ومنها في الاهوار •

وقد كتب بطليموس (١٤٠م) فيوصف هذا الجدول ايضا فقال ان نهر ملكـا (Basileios Potamos) كان يؤلف الحـد بين بلاد ما بين النهرين وبابل وكان يتفرع مـن الضفة اليسرى لنهر الفرات في نقطة تقع على نفس خط العـرض الذي تقع عليه سلوقية ، اي في نقطة غربي مدينة سلوقية مباشرة وقد ايد بطليموس ما ذهب اليه بلينيوس من ان نهر ملكا كان يسحب معظم مياه نهر الفرات فيصبها في دجلة • ومما ذكره السير ويليـام ويلكوكس ان الاقدمـين كانـوا قـد استخدموا ضفاف نهر ملكا المرتفعـة لصيانـة الضفة اليمنى لنهر دجلة من خطر الفيضان ، فقال : « ان اكثر ملوك بابل مراسا واشدهم قوة كانوا ينباهون بان يسجلوا لانفسهم انهم قاموا بتقوية هذه الضفـاف وتحكيمها ذلـك لان رخاء ثلث القطر تماما كان يتوقف على محافظة هذه الضفاف وصيانتها ومن الممكن تتبع آثار نهـر ملكا مـع ضفافه العالية الى مسافة مئات الاميال » •

وقد لعب نهر ملكا دورا مهما في تاريـخ الفتوحات الرومانية حيث اصبح يؤلـف طريق المواصلات النهرية بين الفرات ودجلة ، فكان عند غزو الرومانيين للعـراق ، أي في عهـد تراجان (١١٢م) وجوليان (٣٦٣م) يربط الفرات بدجلة وقد استمر على هذه الحال وهو الممر المائي بـين النهرين حتى جاء عهد العرب فاحتل نهـر عيسى محله وصار هذا الاخير يربط الفـرات بدجلـة فيؤمن المواصلات النهرية بينهما • ومما كتبه اميان مرقلان (٣٩٠م) في كتابه (تاريخ الامبراطورية الرومانية) في وصف نهـر ملكا بمناسبة حملـة الامبراطور جوليان علـى العراق قال ان الجيش

الروماني وصله بعد اجتيازه منخفضات منطقـةالصقلاوية فوجده مسكورا بالاحجار فـي نقطة تقع على بعد ستة كيلومترات تقريبا من مصبه فيتهر دجلة ، وذلك بقصد عرقلة سـير الاسطول الروماني وصد عبوره من الفرات الى دجلة ، الا انه رفعتهذهالحواجز ومر الاسطول فيالجدول حتى نهر دجلة وكان ذلك في شهر ايار من سـنة ٣٦٣ للميلاد .

وتدل الاثار التي يمكن تتبعها على ان نهر ملكا كان يتفرع من الجانب الايسر لنهر الفرات في موضع يقع على بعد بضعة كيلومترات جنوبجدول ابي غريب الحالي وذلك قـرب صـدر الرضوانية عند « تل ابي محمد » ثم يجري في اتجاه نهر الرضوانية حتى اذا ما وصل اليمدينة سيبار انشطر الى قسمين ، القسم الشرقي يجريفي موازاة جدول اليوسفية الحالي مارا باطلال الدير وبخان آزاد وتلول الغزاليات ومنيطير ثمينحدر اليالجنوب الشرقي نحو نهر دجلة حتى اذا ما وصل اليالنهر قطع الخصرة التيبشكلها نهر دجلةفي جنوب تل عمر (سلوقية) ، ومن هنا يمتد في موازاة نهر دجلة حتى يصل الـى قـرب مدينةالكوت . وتعرف آثار النهر في قسمه الاخـير باسم « حبل الذهب » وفي قسمه الواقع شمالنهر دجلة باسم « حبل السوق » .

وكان عند صدر نهر ملكا سـد على نهر الفرات يسميه الاهلون (السجر) اي السكر أو الحبس وقد انشيء هذا السد لرفع مستوى الماءفي نهر الفرات في موسم الصيهود ، وذلك لتامين تموين صدر نهر ملكا بالمياه الكافية في موسـمهبوط مستوى النهر ، اي في خـلال الموسـم الصيفي . وتدل آثار السد على ان السد كانمشيدا من احجار كلسية ضخمة يغلب على الظن انها جلبت بالواسطة النهرية من المنطقة الحجريةالواقعة في الجهات الشمالية من الفـرات قـرب هيت ، ويعتقد ان نهر ملكا هذا صار يعرف فـيالعصور العربية الاسلامية باسم نهر الملك (انظر ما يلي حول هذا النهر في العصور الاسـلامية العربيـة) .

وكان لدى البابليين عدا نهـر ملكا عـدةجداول واسعة تستخدم عند الحاجـة كمصارف لصرف مياه فيضان نهر الفرات منها فرع « نـاربالوكـات » (Nar Palukat) أي نهـر بالوكات[17] ، ثم سـمي بالاكوباس في عهد الاسكندر . وكان مجرى هذا النهر يتشعب مـن الضفة اليمنى لنهر الفرات قرب مدينة المسـيبالحالية فيسير في اتجاه شط الهنديـة الحالـي ويصب في منطقة الاهوار الجنوبية وقد لعب هذا المجرى دورا كبيرا في حياة الفرات ، اذ صـار يؤدي وظيفة المصرف لميـاه الفرات في موسـمالفيضان ، وسنرى كيف تحول مجـرى الفرات الرئيسي اليه في زمن العرب وفي أواخر القـرن الماضـي .

---

(١٧) Musil : "The Middle Euphrates", pp. 279-280

٨ ـ الجنائن المعلقـة

ومن أشهر الاعمال التي أنجزت في عهـد نبوخذنصر الجنائن المعلقـة التي اقيمت في بابل والتي عدت في جملة عجائب الدنيا السبع[١٨] •لقد أسهب المؤرخون في وصف هذه الجنائـن ، فقيل انها كانت على هيئة سطوح قائمة بعضها فوق بعض ، وكل واحد من هذه السطوح يتأخر عن الذي تحته على شكل ما يعرف بالامفيثياتـر حتى كانت والاشجار عليها اشبه برابية خضراء ذات مروج ورياض رائعة • وهذه السطوح كلهاقائمة على عمد وعقود ضخمة سمكها ٣٢ قدمـا وارتفاعها ١٥٠ قدما • وكانت هذه الحدائق مربعة الشكل طول كل جهة من جهاتها نحو ١٢٠ مترا كما كانت هنالك طرق اصطناعية تشبه الطرقالجبلية للصعود منها الى اعالي الجنائن ، وكان في داخل العمد رحبات واسعة رائعـة الاتقان تتصل بعضها ببعض وهي الغرف الملكيـة وان النور ينفذ الى هذه الغرف من خلال الفراغات بين العمد • وكان احد العمد أجوفا مـن رأسـه الى أسفله وفي داخله آلات ترفع الماء من النهر فتصبه في البساتين وكل ذلك من غير ان يشاهد المرء شيئا منها • واما السقوف التي تقوم عليهاالاتربة والاشجار فكانت مفروشة بصفائح مـن الحجارة طول الواحدة منها ١٦ قدما وعرضها اربعة اقـدام وهـي مستورة بخيزران مغلـف بصفين من الاجر ، فصفائح من الرصاص تمنع نفوذ الماء الى ما تحتها اذا سقي ما فوقهـا مـن الاشجار ، وفوق الرصاص التراب المغروسة فيهالاشجار وهو من السمك بدرجـة يمكـن ان تغرس فيه أكبر شجرة • اما مساحة هذه الحدائقفكانت على حسب تقديـر المؤرخين نحو ثلاثـة أيكرات ونصف الايكر[١٨أ] • (انظر التصويرين ٢١٢ـ٢١٣) •

٩ ـ وصف المؤرخين لبابل في عهد الكلدانيين

وقد وصف المؤرخون القدماء رخاء بابل فيالعهـد البابلـي الاخير وفي طليعتهم هيرودوتس الشهير ، ومما قاله في خصوبة أرض بابل في ذلكالعهد : « ليس في كل أقطار العالم بلد يضاهي بابل من حيث خصوبة الارض وانتاج الحبوب ،فان الحبوب تعطي مائتي ضعف وعند الاقبـال تعطي أكثر من ثلاثمائة ضعف وتعرض عن العنبوالزيتون اللذين لا تصلح زراعتهما بتلك التربة• ويبلغ عرض الورقة من سنابل الحنطة والشعير أربعة أصابع ، اما نباتات الذرة والسمسم فـلا اذكر عظم خصبتها ونمو جذوعها لانني أعلـميقينا ان كل من لا يعرف تلك الاقطار لا يصدقني ولذلك ضربت صفحا عن ذكرها » •

---

(١٨) ان عجائب الدنيا السبع هي :

١ ـ جنائن بابل المعلقة واسوارها
٢ ـ اهـرام مصـر
٣ ـ تمثال المشترى (زوس) في بلاد اولمبية
٤ ـ صنم رودس
٥ ـ هيكل ديانة في افسس
٦ ـ ضريح موزول ملك كاريه في هليكوناس
٧ ـ منارة الاسكندرية

(١٨أ) عادل ابو النصر « تاريخ الزراعة القديمة » بيروت ، ص ١١٣ ـ ١٢٨ (مع مراجع وتصاوير)

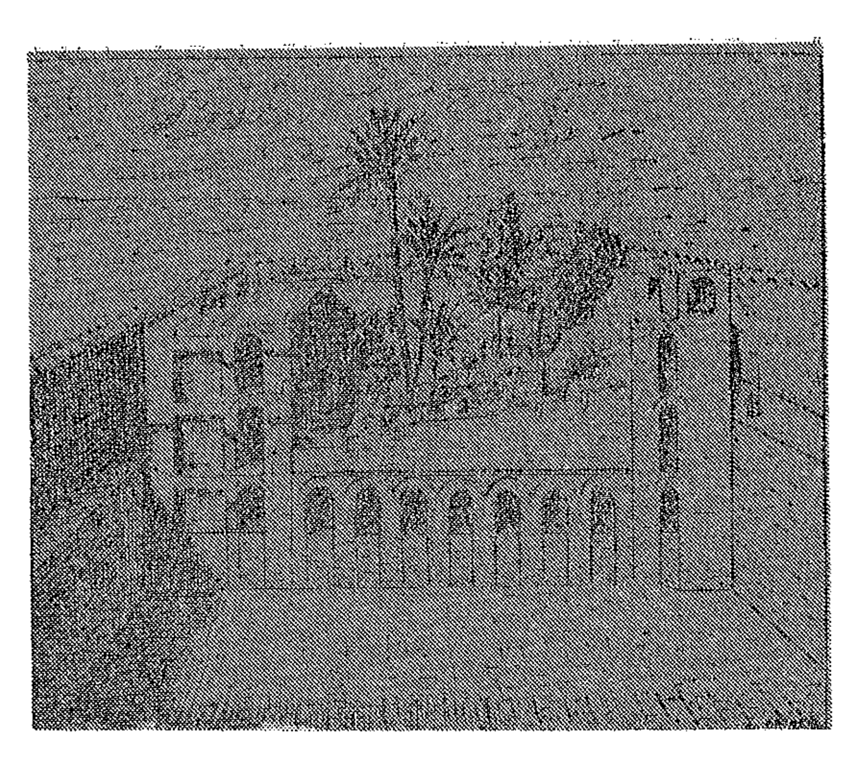


التصوير رقم (٢١٢)

صورة الجنائن المعلقة البابلية الشهيرة التي انشأها نبوخذ
نصر في بابل لزوجته المادية ، نشرها هجنسون في كتابه « قصة الامم » (ص١٦٣)
فيشاهد في الطرف الايسر منها الجهاز الذي كان يستخدم لرفع المياه الى الجنائن

وكان البابليون يعيرون أعمال تطهير الجداول من الغرين اهتماما كبيرا وكانت تقع مسؤولية هذه الاعمال على حكام المقاطعات الذين كان عليهم ان يجمعوا الحشور ويسخروا العمال وأفراد الجيش عند الحاجة لانجازها ، اما في العهد البابلي الاخير (أي في زمن نبوخذنصر) فتشير اخباره الى أن السلطات المختصة أخذت تتحمل تلك المسؤوليات على عاتقها ، اذ صارت تستخدم عمالا باجور معينة يطلق عليهم اسم «كالي ناري» أي عمال الجداول لانجاز أعمال التطهيرات المذكورة .

وقد اسهب هيرودوتس ومن بعده ديودورس وسترابو ويوسفوس وبلينيوس في وصف عمران مدينة بابل في العهد البابلي الاخير بما في ذلك أسوار المدينة وجنائنها وجسورها التي كانت تعد من غرائب ذلك العصر . كانت مدينة بابل مربعة الشكل يبلغ طول كل جانب منها ١٥ ميلا ، فيقسمها مجرى الفرات الى شطرين ، الغربي والشرقي ، وفي مركز كل من هذين الشطرين بني قصر عظيم على أتم وجه من الاحكام والزخرفة وقد قيل ان أمهر الفنيين والعماريين استقدموا



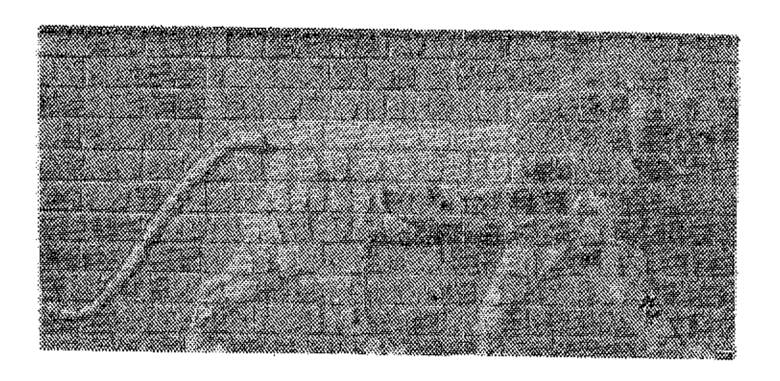
التصوير رقم (٢١٣)

منظـر تصويري للجنائن المعلقة

من أنحاء الامبراطورية لانجاز هذه المشروعات العمرانية ، فاستخدم ما لا يقل عن مليوني شخص في بناء مدينة بابل التي حوطت (بأسوار عالية عريضة وذكر هيرودوتس ان محيط هـذه الاسوار كان ٨١ كيلومترا وكان ارتفاعها نحو مائتي ذراع وعرضها نحو ٣٥ ذراعا بحيث يسهل علـى سبع مركبات من مركبات الحصار ان تسير جنبا الى جنب فوقها . وكانت هذه الاسوار مبنية بالآجر المفخور ألحم بعضه ببعض بالقار . وكان لها مائة بـاب من النحاس على الاطراف الاربعة . وعلى كل من جانبيها صفان من ابـراج صغيرة ذات طبقة واحدة ومتحاذية . وكانت بابل مبنية على ترتيب منسق وجميـع أزقتها نظمت على خـط مستقيم ، بعضها محاذية والاخرى تنتهي عموديا بالفرات . وكان أشهر شوارعها شارع المواكب .)

ومن ابرز الاعمال التي أقيمت في مدينة بابل زقرتـا الاله بيل وهـي عبارة عن برج عظيم مؤلف من سبع طبقات كل طبقة منها خصصت لواحد مـن الآلهـة السبعة ، وفي أعلـى الطبقات تمثال الاله بيل المصنوع من الذهب الخالص والذي يبلغ ارتفاعه عشرين قدما وبجانبه مائـدة من الذهب الخالص أيضا ، واما ارتفاع البرج نفسه فهو حوالي ٥٠٠ قدم . وكان أول من بنى هذه الزقرتا ملك من ملوك بابل ثم جدد بناءها نبوخذنصر . وممـن ساعد ملوك بابـل علـى تشييد هذه الابنية ، الاسرى الكثيرون الذيـن جيء بهم من آشور ويهوذا وسوريـا ومصـر وغيرها من الممالك التي خضعت لسلطانهم .

(وكان على الفرات في وسط مدينة بابل جسر يصل بين قسميها ، الغربي والشرقي ، وكان هذا الجسر على جانب عظيم من الضخامة والاتقان ، اذ انشىء بالحجارة والحديد والرصاص ويبلغ عرضه ٣٠ قدما وطوله كيلومترا واحدا ، والبعد بين كل من دعاماته والاخرى (١٢) قدما ، وقد صممت مخروطية الشكل في المقدم ومستديرة في المؤخر على نمط التصاميم الحديثة . وقد تطرق روفوس في كتابه عن تاريخ الاسكندر الى المشاكل التي جابهها المهندسون في انشاء هذا الجسر ، غير انه ذكر انهم تغلبوا عليها بعد بذل جهود كبيرة في هذا السبيل . وقد انحصرت أهم هذه المشاكل في عملية انشاء أساسات دعاماته حيث اقتضى تهيئة حفائر عميقة جدا وسط النهر لتركيز اساسات الدعامات فيها وذلك بسبب رخاوة قعر النهر مما اوجب النزول في الحفر عميقا لانشاء اساسات الجسر ، هذا وقد بين ايضا ان كثيرا من الغرين قد تراكم بازاء الدعامات فصار يعيق المجرى ويشكل تيارا سريعا فيها . (انظر التصاوير المرقمة ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦))

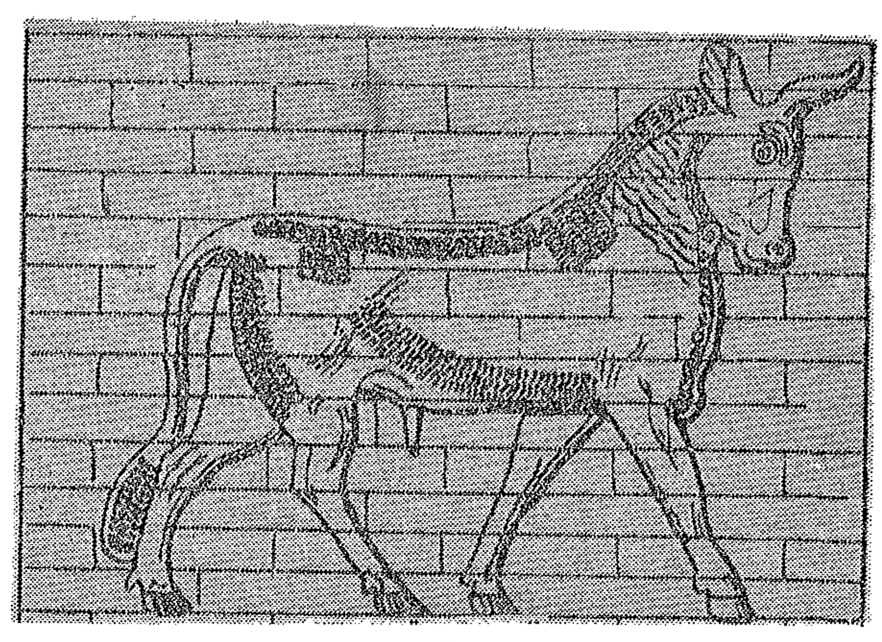


التصوير رقم (٢١٤)

نحت بارز من الآجر المطلي بالميناء يمثل اسدا وهو احد الاسود التي كانت تزين جانبي شارع المواكب في بابل (انظر الفقرة ٩)

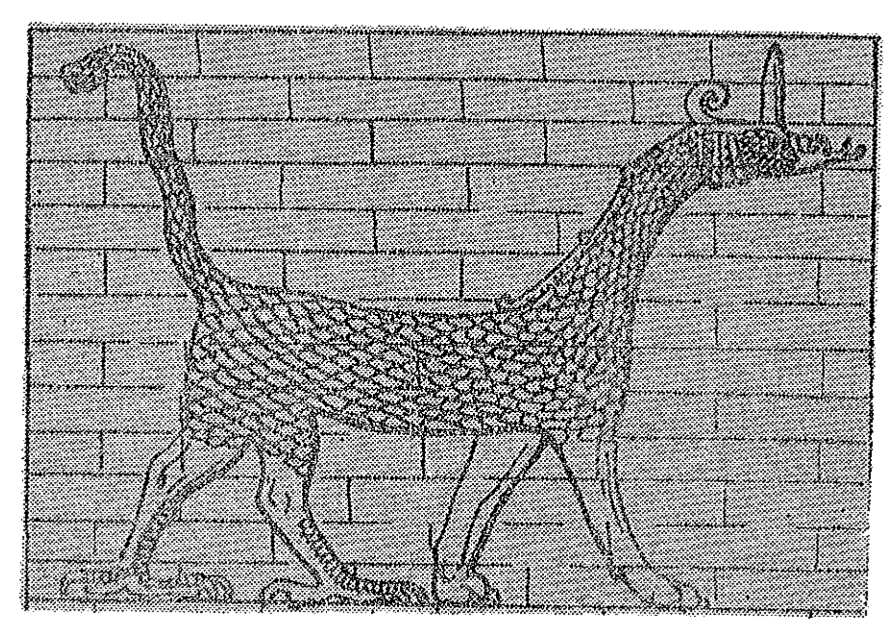
١٠ ــ الكلدانيون والبلاد العربية :

اما صلة الكلدانيين بالبلاد العربية فمما لا شك فيه ان حملات نبوخذنصر على بلاد الشام وفلسطين ومصر قد ساقتهم الى الاحتكاك بالعرب القاطنين في الارضين التي تعترض طريق فتوحاتهم . فتشير الكتابات القديمة التي عثر عليها في منطقة حران ان الملك الكلداني نبونيدس (٥٥٦ــ٥٣٩ ق.م.) احتل مدينة (تيماء) هي ومنطقة (ادمو) او دومة الجندل ومدينة يثرب (المدينة المنورة) في حدود سنة ٥٥١ــ٥٥٢ ق.م. وبقي في (تيماء) مدة عشر سنوات واودع الى ابنه « بلشاراد » ادارة المملكة في بابل ولم يعرف سبب مكوثه في (تيماء) مدة عشر سنوات بعيدا عن مركز عاصمته (بابل) التي بقيت تحت حكم ابنه (بلشاراد) . ويرجع بعض الباحثين ان نبونيدس بقي في هذه المنطقة ليحمي حدود بلاد الشام وفلسطين من الاعراب واخضاعهم لحكمه



التصوير رقم (٢١٥)

اثر آخر يدل على عظمة بابل الكلدانية
ثور منحوت على الآجر المزجج



التصوير رقم (٢١٦)

التنين البابلي منحوت على الاجر الملون المزجج المطلـي بألوان براقة زاهية على باب عشتار . ويلاحظ ان القدمين الاماميتين هما قدما اسد والخلفيتين قدما نسر (دليل البطش والقوة)

وليحمي ايضا طريق التجارة الممتدة بين بلاد الشام وجنوب جزيرة العرب وذلك بعد ان احتل الميديون والفرس طريق العراق التجارية الممتدتين نينوى وحران وسلسلة جبال طوروس ، ومن المعلوم ان (تيماء) كانت من المراكز التجارية المهمة في جزيرة العرب وملتقى طرق تجارية مهمة فمنها تسير قوافل في عدة طرق منها ما يتجه شمالا الى البتراء ودمشق وتدمر وآخر يسير الى سيناء فمصر ويتجه طريق ثالث الى العراق .

وفي الكتابات البابلية مايشير الى ان نبوخذ نصر كان قبل ذلك قد ارسل في شهر (كسلو) من السنة السادسة من ملكه المقابلة لسنة ٥٩٩ ق.م. حملة على العرب الساكنين في البادية نهبت املاكهم واستولت على مواشيهم وحملت معها آلهتهم ثم عادت حاملة معها ما ذكر في النص من اسلاب وغنائم ومن مواشي وآلهة العرب . وكانت الغاية من تأسير البابليين لاصنام آلهة العرب واخذها مع الغنائم اكراه القبائل على الخضوع والاستسلام لما للاصنام من اثر عميق في نفوسهم. وقد سبق للملوك آشور مثل سرجون وسنحاريب واسرحدون ان اسروا اصنام العرب واخذوها معهم الى آشور وكتبوا عليها شهادة الاسر ليؤثروا بذلك في نفوس اتباعها وعبادها ويكرهوهم على الخضوع لهم وعلى مساومة الآشوريين لاستردادها في مقابل الاستسلام لهم وتأييد سياستهم وعدم التحرش بهم[١٩] .

ويرى الباحثون ان الغاية من ارسال نبوخذنصر حملته على العرب هو حماية حدود (حماة) وبقية مشارف الشام من الاعراب واخضاعهم لحكمه ثم تأديب بعض القبائل التي تحرشت به حين دخوله بلاد الشام ومن جملة ذلك فلسطين .

اما قصة الملك نبونيد واحتلاله لمدينتي تيماء وآدمو ومكوثه في تيماء فيرويها نبونيد نفسه في كتابة عثر عليها سنة ١٩٥٦ في خرائب جامع حران الكبير ترجمت الى الانكليزية ، وفي هذه الكتابة يقول نبونيد انه لما ترك بابل وجاء الى تيماء أخضع أهلها ثم ذهب الى « ددنو » (ديوان) « وبداكو » « و خبرا » « وايديخو » حتى بلغ «تريبو» ثم ذكر انه عقد صلحا مع مصر وميديا ومع العرب . ويفهم من بعض أسطر مهشمة ان العرب ارسلوا اليه رسلا عرضوا عليه عقد الصلح معهم واستسلامهم له فوافق على ذلك بعد ان كبدهم جيشه خسائر فادحة واسر منهم ونهب ، كما يفهم من هذه السطور ان بعض هؤلاء العرب هاجموا البابليين ونهبوا المناطق الخاضعة لهم على الرغم من عقد الصلح معه وموافقتهم على ان يسالموه وهذا ما دعاه الى ارسال حملات تاديبية عليهم أنزلت بهم خسائر فادحة .

---

(١٩) S. Smith, "Babylonian Historical Texts" p. 35; D.J. Wiseman, "Chronicles of Chaldean Kings", London, 1956, pp. 31, 48, 71.

ويرى الباحثون الذين درسوا كتابة حران وادومو ان استيلاء نبونيد على تيماء وادمو (دومة الجندل) قد تم في حدود سنة (٥٥١ ــ ٥٥٢ ق٠م٠) وان الصلح الذي اشار اليه مع الاعراب يجب ان يكون قد عقد في حوالي سنة ٥٤٨ ق٠م٠ في مدينة تيماء عاصمة الملك الجديدة ، ولم تذكر الكتابة من هم العرب الذين عقدوا الصلح مع نبونيد ؟ ٠٠ وجاء في النص البابلي ان نبونيد قتل بالسلاح ملك تيماء (ملكو) وهذا ما يدل على ان تيماء كان يحكمها حاكم يلقب نفسه بالقاب الملوك ٠ وقد ذكر نبونيد انه جاء الى تيماء سالكا الطريق البرية المؤدية من بلاد الشام الى شرقي الاردن وهي الطريق التي يسلكها حجاج بلاد الشام الى مكة ، وبعد ان قضى على حاكمي المدينتين تيماء وادومو(*) ، استقر في تيماء وبنى له قصرا فيها يضاهي قصور بابل ٠

ويرى بعض من درس النص البابلي ان نبونيد نقل معه خلقا من العراق وأسكنهم في الاماكن الحجازية وكان يأتي اليهم من تيماء ليتفقد أحوالهم ليرى سبل حمايتهم من غارات الاعداء ، ويرى هؤلاء أيضا ان في جملة من جاء بهم نبونيد الى هذه الاماكن اليهود الاسرى في بابل كما يرى هؤلاء ان نبونيد انتزع الاراضي الزراعية من اصحابها العرب ووزعها على من كان قد جاء بهم معه وأعطاها للمستوطنين الجدد ويظهر ان نبونيد كان يعد خطة للاستيلاء على الاراضي الحجازية والحاقها ببابل وذلك باسكان اتباعه بها واجبارهم على الاقامة فيها ، وقد نفذ خطته فعلا ولكن الخطة لم تنجح لان الظروف السياسية اضطرته على العودة الى بابل ٠ ويعتقد ان بقاء بعض من نقلهم نبونيد من العراق في الحجاز قد ترك اثر كبير من الناحية الثقافية والاقتصادية والحضارية حيث ثبت وجود ألفاظ عراقية قديمة في لهجة اهل يثرب والمناطق الاخرى التي تقع الى الشمال منها وبخاصة في الزراعة[٢٠] ٠

١١ ــ الوضع السياسي بعد وفاة نبوخذ نصر :

توفي « نبوخذنصر » سنة ٥٦٢ ق٠م٠ وخلفه على عرش بابل ملوك ضعفاء ، فكان حكمهم في الواقع برهة سبقت انهيار المملكة البابلية الجديدة ٠ فأول أولئك الملوك « أميل ــ مردوخ » ابن « نبوخذنصر » فكان ضعيفا فاسقا لم يمض على حكمه سنتان حتى ثار عليه رجال الدين وقتلوه غيلة سنة ٥٦٠ ق٠م٠ ونصبوا مكانه « نرجال شراوصر » (نرجلصر) صهر نبو خذ نصر وأحد قواده فحكم أربع سنوات ، ثم خلفه ابنه الطفل « لباشي مردوخ » في سنة ٥٥٦ ق٠م٠ فلم يحكم الا تسعة اشهر حيث تدخل الكهنة ثانية فعزلوه، ثم قتل بمؤامرة ائتمروها به ونصبوا في مكانه الرجل الورع والتقي « نابونيد » (نبونهيد) ٠ وقد اشتهر « نابونيد » هذا

(*) هي ارض ادوم الواقعة في منطقة جبلية جنوب شرقي فلسطين كانت تسمى « ادومي » سكن الادوميون قسما منها كان يدعى « جبل سعير » وقد ورث الادوميون القسم الشرقي من مملكة يهوذا بعد ان قضى الكلدانيون عليها .

(٢٠) الدكتور جواد علي « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ١ : ٦٠٧ ــ ٦٢٠

بتعمير البلاد وتشييد المعابد وتجديدها • ومن فتوحاته خارج العراق احتلاله لمدينة حران فجدد أبنيتها وقام ببناء معبد للاله « سن » اله القمر فيها • ثم غزا سورية ووصل الى حماة في كانون الثاني عام ٥٥٣ ق•م• كما غزا جبال «اما نوس» في آب من تلك السنة وأدوم في كانــون الاول حيث قتل ملكها ، وقد وصل جيشه الى غزة فيحدود المملكة المصرية ثم غزا بلاد العرب فحارب « تيماء » وقتل ملكها وبنى فيها قصرا سكن فيهوأودع الى ابنه « بيل شاصر » ادارة المملكة في بابل • وكان « بيل شاصر » هذا فاسدا متفسخا لم يهتم بامور الدولة ورعايتها فاصاب الانحلال ادارة البلاد في أيامه وعمت الفوضى فيها • وقد اتفق ان ارتفع شان كورش الفارسي الاخميني في هذا الحين ، فقد استطاع توحيد بلاد ايران وأخذ يتوسع نحو بلاد الماذيين والليديين شمالا حتى اصبحت الدولة الفارسية الصغيرة بجهودهتمتد من جبال عيلام حتى البحر المتوسط ، ولما شعر « نابونيد » ان ممتلكاته أصبحت مهددة بالزوال رجع الى بابل عــام ٥٤٥ ق•م• وتدل المدونات القديمة التيعثر عليها على ان «نابونيد»مكث في تيماء من سنة حكمه السابعة حتى السنة الحادية عشرة • وقد وقع ما كان متوقعا حدوثه ،فبعد ان فرغ كورش من المملكة الليدية جهــز حملة قوية على بابل مغتنما مكامن الضعف فيها ، وقد انحــاز الــى جانبه حاكــم « السوس » (كوبرياس) فاحتل « اوبيس » و « سيبار » ، ثمحاصر بابل واحتلها دون مقاومــة تذكر واخــذ الملك « نابونيد » أسيرا • وقد سمح كورش بعد احتلاله لبابل لمن شــاء من اليهود بالعودة الى فلسطين فعاد بعضهم وقد آثر الآخرون البقاء •

وهكذا انتهى حكم بابل الحديثة وبانتهائهقضي على الحكم الوطني في العراق وانهار الشرق السامي الذي كان حتى ذلك العصر مكونا وحدةسياسية جغرافية في وجه القوى الآرية (الهندية الاوربية) • ولكن على الرغم من تغلغل العنصر الآري في البــلاد بحكــم الاخمينيين والاغارقــة والفرثيين والساسانيين الذي دام ١١٧٥ سنة عادالعنصر السامي العربي فتغلب باقتحــام موجــة الاسلام السامية العربية •